سعدي يوسف

قصائد الخطوة السّابعة





قصائد الخطوة السّابعة

سعدي يوسف

قصائد الخطوة السّابعة



قصائدُ الخطوةِ السابعة ، شعر: سعدي يوسف

الطبعة الأولى: 2010

هاتف: 00963 112236468

فاكس:00963112457677

ص . ب: 11418، دمشق. سوريا

www.attakwin.com

info@attakwin.com

taakwen@yahoo. com

القصائدُ الخمسون التي يضمُّها الديوانُ هذا كُتِبَتْ بين 29.05.2009 و28.03.2010 ونُشِرتْ هنا، مُنَجَّمةً، حسب تواريخِ تَنَزُّلِها.

أمّا "الخطوةُ السابعة"، فالمَعنيّ بها، خارجَ هالةِ الرقمِ المقدّس، أنني دخلتُ، فعلاً، مرحلةَ إعدادِ "المجلّد السابع" من أعمالي الشِعريّة.

س.ي

May Day in Morisplaz-Berlin

أوّل أيّار في موريس بلاسه (برلين)

قالت لي جُوانُ :

الليلةَ نسـهرُ حتى منتصفِ الليلِ

فقد نلقى سـاحرةً في عَتْمةِ منعطَفٍ...

(لَيلَتُهُنَّ !)

وفي الصبحِ

الصبحِ العالي

سنسيرُ إلى ساحة موريسَ، لننضمَّ إلى العمّالِ

ونهتفَ تحت الراياتِ الحمراءِ...

....

....

....

كان الليلُ عجيباً في برلينَ الشرقيةِ

(لا أسهرُ في الغربيةِ)

كانِ الليلُ شـــــوارعَ من موسيقى الجازِ

وأنهاراً لقناني البيرةِ.

أغلقت الشرطةُ بضعةَ أحياءٍ.

(كان مئاتٌ من شرطةِ منْعِ الشغَبِ انتشـــــروا...)

قلتُ :

جوانْ ...

إنْ كان الليلُ عنيفاً هذا العنفَ، فكيف، إذاً، سيكونُ الصبحُ؟

....

....

....

الراياتُ الـــحُمْـــــرُ، الراياتُ الخفّاقةُ، راياتُ الأيّامِ الذّهَبِ التأسيسِ، وكارل ماركس، وإرنَسْتْ تَلْـــمان، بْرَيْخْت، الكابارَيت. الراياتُ المرفوعـــةُ أعلى من أبراجِ الكاتدرائياتِ

وأعلى من تاريخِ التاريخِ. الراياتُ الدفّاقةُ في كلِ ذراعٍ شُهُباً.
تلك الراياتُ سنشهدُها، صبحاً في الساحـــةِ، آنَ نُفيـــــقُ !

❖

كان الوقتُ ضحىً.
بُرْجُ الساعةِ لم يشهدْ بَعدُ مواعيدَ العشّاقِ.
أَمْ أن الناسَ، جميعاً، في الساحةِ حيث مُظاهرةُ الأوّلِ من أيّارَ؟
وفي هذا العامِ التاسعِ بعدَ الألفَينِ، القلعةُ تهتزُّ.
العمّالُ بلا عملٍ.
سيكونُ الناسُ جميعاً في الساحةِ !
أمواجُ بَيارقِنا
وهديرُ حناجرِنا
في الساحةِ...



سيّاراتُ الشّــــــرْطةِ، ساكنةٌ. لا صوتَ، ولا شـــــــرْطةَ
والساحةُ (أعني موريس بلاتسهْ)

بَدَتْ فارغةً إلاّ من متسكِّعةٍ

أفراد. أحسستُ بأني في غيرِ مكاني. قلتُ : جْوان...

أنَحْنُ وصلْـــــنا؟

قالت: طبعاً !

❖

عجباً !

حتى التركيُّ

الكرديُّ التركيُّ

استبدلَ بالبيرقِ، دكّانَ كَبابٍ !

لا مطرقةُ ستالينَ، ولا منجلُ ماو...

العمّالُ الألمانُ يعومون، سعيدينَ، بأنهارِ البيرةِ،

ثمّتَ شمسٌ ساخنةٌ

والفتياتُ تمدّدنَ على العشبِ.

لندن 29.05.2009

تـــدقـيـقٌ

لوحُ زجاجٍ في نافذتي

في اللوحِ إطارٌ أبيضُ (يبدو لي أسودَ).

أجلسُ، متَّكئاً، وأراقبُ :

في اللوحِ غيومٌ ثابتةٌ

وأعالي شجرٍ تهتـــزُّ.

خطوطُ الفضّةِ آتيةٌ مـــمّـــا ترسلهُ مدرسةُ الطيرانِ إلى

الأعلى.

واللوحُ (كما في الدرسِ الأوّلِ)

كان ثلاثةَ أقسامٍ :

سقفُ الـــمـــبنى، حيثُ السجناءُ (وأعني نحنُ) هو الثلثُ

الأوّلُ

أمّا الثلثانِ...

أحاولُ أن أدخلَ، ثانيةً، في ما كان

دخولي الأولَ

لحظتيَ الأولى...

الآن

أعالي الشجرِ اهْـتَمَدَتْ ساكنةً

وتحرَّكَ، في الأفقِ الملموسِ، الغيم...

لندن 19.06.2009

مَهْووسٌ

أظلُّ مندفعاً دوماً،

أدوسُ على مُعَجِّلِ السرعةِ القصوى

وأتركهُ على أديـــــمِ الحديدِ الجهْمِ ينطبقُ

فوقي سحابةُ مِدرارٍ تُظَلِّـــلُـــني

وفي المدى الخافقانِ : الريحُ والورَقُ.

ما أضيقَ العيشَ !

لو كان المدى بِـيَدي

لكنتُ سِـــــرتُ إلى ما ليسَ يُختَرَقُ.

لندن 23.06.2009

النَّـــذيـــرُ

تظلُّ تحفرُ في الساعاتِ،

رُبَّـــتَـــــما أصبْتَ في غفلةٍ منهنَّ واحدةً

أو اثنتَينِ، ومَن يدري...

لعلّكَ في ما لا تريدُ ترى ما المعدِنُ الذهبُ

أنت الـــمُكَـــلَّفُ بالبلوى :

ترى شَـــبَـــــهاً في ما يُرى ذهباً. أنتَ

الأمينُ على الوردِ، الأمينُ على ما يجعلُ الكونَ ورداً.

حيثما اتّجهتْ

خُطاكَ صرتَ طريقاً.حِـــــرْفةٌ عجَبٌ.

والآنَ في صُبحكَ العــــالي

ألستَ ترى أنّ الضحى آفلٌ كالليلِ؟

أنّ سياجاً في الحديقةِ لا يكفي

ليدفعَ عنكَ النَّسْرَ. أنتَ،
وإنْ أقمتَ في الوهْدِ صارَ الوهدُ.
رابيةً وقلعةً
لا تَهِنْ
واقْرَعْ مع الفجرِ صنجاً أنتَ تَذْخَرُهُ
كي توقظَ النُّسْغَ في ما ماؤهُ خشَبُ ...

لندن 23.06.2009

الـطـبـيـعــةُ

" سـيـمـفـونـيـةٌ صـيـفـيـةٌ"

للهواء الرطوبةُ

تلك التي لمخاضاتِ شـــــرقيّ كَمْبودِيا.

والغيومُ معلَّقةٌ بالكلاليبِ

والعشبُ يبدو صبيغةَ عُشب.

وما كان أمسِ غصوناً، بدا حَجَراً كالغصونِ.

الدقائقُ تضغطُ

حتى لَتشعر أن ضلوعَكَ قد تنثني.

القلبُ لا ينبضُ

الطيرُ غابَ...

السماءُ التي تَدَّني سوفَ تُطْبِقُ.

لا ترتجفْ !

أنتَ عَوَّدْتَ نفسَكَ أن تكتفي بالقليلِ القليلِ
وإنْ كان ذاكَ القليلُ هواءً...
تَلَبَّثْ !

....

....

....

لَكأنّ كَفّاً ضخمةً في الشرقِ تدفعُ هامِدَ الغيمِ.
الغيومُ تنوءُ، مثقلَةً،وتَرجفُ : إنه الرعدُ المُباغتُ.
فجأةً، وبلا كلامٍ أو سلامٍ، تَهطلُ القطَراتُ، دافئةً
كِباراً. تسمعُ النبتَ؟ انتبهْ ! للنبتِ أغنيةٌ. أتسمعُها؟
أتعرفُ أينَ صارَ الطيرُ؟ لم تَعُدِ الحديقةُ مثلَ ما كانتْ.
وبيتُكَ لم يَعُدْ بيتاً... لقد أمسى حريراً شاخصاً...
هل أنت تسكنُهُ، أَم البيتُ الذي قد صارَ يسكنُكَ؟
اطمَئِنَّ !

....

....

....

مع البرقِ، من جهةِ الغرب،

جاءتْ بُحيرةُ سطحٍ مُعَــلَّــقةً.

والبحيرةُ زرقاءُ. تطفو مع الغيمِ أبيضَ. برقٌ شفيفٌ

ونسمةُ صيفٍ.رأيتُ السنونوَ يخْطِفُ عَبْرَ البحيرةِ.

رَقَّ الــمطرْ.

صارَ ماساً على الورقِ المترنحِ والزهرِ.

غيمٌ خفيفٌ

نثارٌ لوردٍ خفيف.

لك الآنَ أن تستكِنّ !

لندن 27.06.2009

مُـقـارَنــةٌ

النسيمُ خفيفٌ
وسطحُ البحيرةِ مِرآةُ دَوحٍ وشمسٍ
يُشَـــوِّشُــــــها بجعٌ أبيضُ
وسَـــفينٌ من البطِّ أســـــوَدُ.
والجندُبُ، الآنَ، يفتحُ باباً من الطينِ...
من غصنِ صفصافةٍ رَفَّ طيرٌ
وفي لحظتَينِ اختفى.

....

....

أنتَ تقصدُ هذي البحيرةَ
تأتي لتبحثَ عن نعنعِ الدَّغْلِ
عن بُطْنُجٍ
وروائحَ عشبيّةٍ.

أنتَ تبدو سعيداً

لأنكَ تلقى الذي جئتَ من أجْـــــلِهِ دائماً،

وتقولُ لنفسكَ :

ما أسهلَ النعمةَ !

....

....

الآنَ في عِرْقِ صخرٍ

رجالٌ يموتونَ من قسوةِ الصخرِ

يذوونَ من لَهَفٍ

واقتتالٍ على حفنةِ الــتِّــبْـــــرِ.

أنتَ تقولُ لنفسِكَ : ما أصعبَ النقمةَ !

....

....

الطيرُ يمرحُ.

لندن 02.07.2009

الشيوعيّ الأخيرُ يغادرُ عَمّان

كاد الشيوعيُّ الأخيرُ يضيعُ في عَمّانَ...

عَشراً كانت السنواتُ : فارَقَها، و لم يأْسَفْ لِما فَعَلَ الفراقُ،

فربّما كانت حديقتُهُ من الصبّارِ،

أو كانت سفينتُهُ من الورقِ المُقَوّى.

ربّما لم يُحْسِنِ الإصغاءَ للنجمِ البعيدِ،

ورُبّما...

....

....

....

كان الشيوعيُّ الأخيرُ يدورُ من جبلٍ إلى جبلٍ

ودُوّارٍ وآخرَ ؛

كان يسألُ عن رفاقٍ طالَ ما أنسَـــوهُ ما فعَلَ الرصاصُ بهِ

ويسألُ عن موائدِ حانةٍ لَـــمّا تَـــعُـــدْ مفتوحةَ الأبوابِ،

دارٍ للنقاباتِ...

المدينـــةُ راكَمَتْ عجلاتِها الصفراءَ، آلافاً

وأعْلَتْ عاليَ الأبراجِ.

لم تَعُدِ المدينةُ مثلَ ما فارقْـــتَها يا صاحبي،

و" الأزرعِيُّ" رفيقُكَ الأبديُّ غادرَ" إربدَ"...

الدنيا تبدّلت

البلادُ غريبةٌ...

غادِرْ !

وحاذِرْ أنْ يرى أحدٌ بها...

وجهَ الشيوعيِّ الأخـــــير !

لندن 27.07.2009

ما البحرين؟

ما البحرينُ؟

قاسِمُ حدّادٍ، أمْ جاســـــِمُ؟

مقبرةٌ لعراقيينَ أتَوا من ســــومَرَ ؟

أَمْ :

" مرَجَ البحرينِ"

هنا يلتقيانِ ....

وبينهما البرزخُ من مُرجانٍ وجُمانٍ؟

ما البحرَينُ؟

البنكُ الـــدّوليُّ بِها، أم " جبهةُ تحريرِ البحرينِ"؟

أمَشْيَخةٌ أَمْ مملكةٌ؟

إيمانُ أسِــيري أمْ فوزيّةُ؟

ما البحرين؟

سأظلُّ أُسائلُ عنها

لكنْ لن أعرفَها...

البحرين

على خارطةِ العالَمِ

ليستْ حتى الـــنُّــقطةَ...

....

....

....

لكني أعرفُ، من أجدادي،

من صندوقِ بريدِ :" قرامطةِ البحرينِ"

أعرفُ

ما البحرين !

لندن 28.07.2009

سكونٌ صيفيٌّ

الهواءُ تَدَلّى
كأنّ به مائعاً من رصاصٍ
كأنّ الذي نتنفّسُهُ لَم يكنْ مثلَ هذا...
الغيومُ التي ثَقُلَتْ بالهواءِ تدلّتْ على شُرُفاتِ المنازلِ.
لم يَمْرُقِ الطيرُ
والشمسُ، بين الرصاصِ العميمِ، اضمَحَلّتْ.
أرى النملَ
والنحلَ
بين اضطرابٍ ومَسعى...
....
....
....

وفي بغتةٍ أتذكّـــــرُ، أني هنا، منذُ عَــشْـــــرٍ

وأني، هنا، ســــأموتُ...

....

....

....

تُباغِــتُـــني قطَراتُ المطر !

لندن 05.08.2009

النحلُ يزورني

على قميصيَ حطّتْ نحلةٌ،
وأتتْ من بَعدُ أُخرى...
وكان الزهرُ مؤتلقاً يُتَعتِعُ الزانَ والبستانَ.
كيف أتى النحلُ العجيبُ إليَّ؟
مائدتي محدودةٌ :
خبزةٌ
جُبْنٌ
وطافحةٌ بها نبيذٌ فرنسيٌّ...
أيقصدُها النحلُ؟
الغريبُ في الأمرِ أن النحلَ ملتصقٌ على قميصي...
ومِلْحاحٌ.
أيعرفُ أن الكونَ تحتَ القميصِ...

الشُّهْدَ

والمنتهى

تحت القميصِ،

وأن الطّّلْعَ يضطربُ؟

لندن 08.08.2009

الخريف العاشـــر

منذُ عشـــــرٍ، هنا في مُقامي،
أراقبُ هذا الـــخـــريفَ الـــمُـــبَكِّـــــرَ :
أرقَبُ أُولى فَراشات أوراقه،
وهيَ تَـــسّــــاقَـــطُ. الزّهرَ إذ يتململُ مرتبكاً
والطيورَ التي لم تَعُدْ تتصادَحُ في الفجرِ.
لونَ السياجِ الذي يـــتبـــــدّلُ...
قد صارَ لي، منذُ عشرٍ هنا، منزلٌ.
صارَ لي في ارتحالِ الســـــحائبِ بابٌ
ومفتاحُ بابٍ.
وغرفةُ نومٍ تُطِلُّ على شجرٍ يتطاولُ عندَ البحيرة.
قد يهـــبطُ الليلُ مثلَ الرصاصِ كما اعتادَ أن يهبِطَ الليلُ.

لن يُمَسِّيكَ بالخيرِ حتى السكارى

ولن تَطْرقَ البابَ حتى التي كنتَ أحببتَها.

أنتَ تغفو وتعرفُ أنك في برزخٍ

لستَ تغفو.

أتعرفُ ما لونُ شَعرِكَ في الـــحُلْـــــمِ؟

ما لونُ أسماكِ نَـــهرِكَ في الـــحُلمِ؟

ما لونُ ثوبِ الفتاةِ التي رضِيَتْ أن تُقَـــبِّــــــلَـــها

قبلَ ستينَ عاماً؟

لقد نزلَ الفأسُ في الرأسِ...

لستَ الوحيدَ الذي يتساءلُ...

لستَ الوحيدَ الذي لا يرى في الليالي الطويلاتِ...

لستَ الوحيد !

لندن 05.09.2009

أتـمَــشّــى بمحاذاةِ القناة

أتمشّى، وأُمسِكُ في كلِ كفٍّ عصـــــا !

عصَوانِ تقودانِـــــني ...

البَطُّ والـــوَزُّ يمرحُ

والسمَكُ الـــحُـــلْـــمُ في القاعِ.

أمشي بلا هدف

قد، وقَد، أبلغُ الجســـــرَ

أو ساحةَ القريةِ...

الشمسُ لم تَـــبْـــدُ حتى ولو لحظةً

والغيومُ التي تَـــتَـــهَـــدَّدُنا بالسيولِ

استكانتْ إلى هدأةِ العَصرِ،

أمشي

ولكنّ كعبَ حذائي رصاصٌ.

وأمشي

ولكنّني لستُ أخطو...

....

....

....

سأمضي، إذاً، حافياً !

لندن 07.09.2009

إيرلنديّةٌ في الشمالِ الأميركيّ

" إلى بِنْكِي ووكَر"

Binky Walker

شَعرُها وَرْدُ إيرلَنْدةَ

الوجهُ يبزغُ من لُجّةِ الوردِ.

هادئةٌ، هي، لا تتكلّمُ :

بِضعُ غماغمَ للريحِ،

لكنْ، عليّ، أنا، أن أفسِّرَ تمتمةً

أن أقولَ :

أحبُّكِ !

لكنها تتبسَّمُ، صامتةً.

ثمَّ، بعد دقائقَ، همسُ للريحِ :

إنْ أنتَ جئتَ وحيداً، إلى" حانةِ الـــمَـــعْـــبدِ*"
المسْتَكِـــنّـــــةِ في آخرِ الليلِ،
في آخرِ الكونِ...
سوف أُحِبُّكَ !

لندن 08.09.2009

---

* المقصود بـ" حانة الـمعبد" منطقة حانات تاريخية في العاصمة الإيرلندية دَبْلِـن Temple Bar

مرحباً، منتظِـر!

اليومَ سأشـــــربُ كأســـــي شاياً بالعسلِ...

اليومَ، أُحَيِّـــيكَ

وأشـــــربُ نَخْبَكَ...

كأسَكَ، شاياً بالعسَلِ !

منتظراً منكَ، مبادلَتِي نَخْبِي، يا منتظِـــــرُ !

اليومَ، هنا، وكما في كل الدنيا، أحَدٌ...

لكنْ، لا أحدَ، اليومَ، ســـــواكَ

لقد وحّدْتَ العَلَمَ الوطنيَّ

جلَوتَ له المعنى

وجعلتَ العلَمَ الوطنيَّ يحلِّقُ مقذوفاً

ليصيبَ...

....

....

....

احذَرْ، يا منتظرُ !

القتلُ (وأعني قَتْلَكَ) صعبٌ في السجنِ،

ولكنّكَ، يا منتظر الزيديّ، ستبقى هدفَ المحتلِّينَ الأوّلَ.

لن ينسَوا أنكَ وحّدتَ العَلَمَ الوطنيَّ،

جعلتَ العَلَمَ الوطني

يُحَلِّقُ مقذوفاً

ويُصيب...

لندن 13.09.2009

ليلُ المـحَـطّـةِ

سوف تأتي جوانُ ليلَ الأحدِ :

الرصيفُ في محطةِ المترو سيبدو شبه مغسولٍ

من النوءِ الخفيفِ

الضوءُ يبدو شاحباً

لا وقْعَ أقدامٍ

ولا مسافري ليلٍ...

محطةُ المترو غفَتْ، مثلَ محطّاتِ القرى في ليلِ أسكتلَندةَ.

هل أبدو، أنا، مشتبَهاً بهِ؟

الساعةُ في المدخلِ... هل تستنطقُني؟

مَن أنتَ؟

مَن تستقبلُ، اللحظةَ، ليلَ الأحدِ؟

الشرطةُ في سيّارةِ الدوريةِ

الفندقُ، حيثُ العاهراتُ ارتَحْنَ من أثوابِهِنّ،

استقبلَ التجّارَ بالجازِ القديمِ.

....

....

....

جْوانُ تأتي...

جرجرتْ، عبرَ محطّاتِ الشمالِ، البحرَ

والأوراقَ

والضحكةَ، ملءَ العالَمِ.

جوانُ ستبدو، آنَ أستقبلُها، تنتظرُ القُـــبلةَ

كالوردةِ إذْ تنتظرُ الطلَّ

كفانوسٍ على كوخٍ

و كالهدأةِ في ليلِ المحطّاتِ...

كأنفاســـــي التي أمستْ تضيء.

لندن 19.09.2009

اليعسوبُ الذهبُ

غيرَ بعيدٍ عن مطعم أسماكِ" الشبّوطِ اليابانيّ"
وعند سياج ممرٍّ نحو الغابةِ حيثُ ثلاثُ بُحيراتٍ
ترتشفُ النورَ،
شفيفاً
في هذي الساعةِ من يومٍ خريفٍ...
كنتُ أحاولُ أن أتملّى غصناً مقطوعاً
قذفتْهُ الريحُ إلى أعلى السورِ
وأن ألـــمُسَ ما يهجسُـــهُ الغصنُ المقطوعُ عن الشجرةْ.
كانَ أصيلٌ رطْبٌ
و أرانبُ في الــمَــرْجِ
وبِضعةُ أطيارٍ ســــودٍ...
وأنا، غُـــفْـــلاً، أتَـــملّــــى هذا الغصنَ المقطوعَ.

أقولُ لنفسي : هل ســيُـــعِـــيدُ الغصنُ الدّورةَ؟

أعني هل سيعودُ الغصنُ المقطوعُ إلى أشجارِ الغابةِ في يومٍ ما؟

هل سيعودُ الـــنُّـــسْـــغُ إلى اللوحِ اليابسِ؟

هل تَـــخْـــضَـــرُّ الأوراقُ؟

....

....

....

وفي مِثلِ الخطفةِ

في مثلِ اللهفةِ

في مثلِ غيابي... حَطَّ على إبهامي يعسوبٌ ذهَبٌ.

لم أعرفْ : هل أنظرُ أمْ أشـــعرُ؟

واليعسوبُ...

أهذا اليعسوبُ الذهبُ، الشـــيءُ أم الرؤيا؟

لكنّ اليعسوبَ، خفيفٌ، وشفيفٌ، وحقيقيٌّ أيضاً

ويحِطُّ على إبهامي !

إن جناحَيهِ يرِفّانِ، رقائقَ من ذهبٍ صاغتْـــــه ملائكةٌ...
ويرِفّانِ على إبهامي، فِعلاً !

....

....

....

هل يعرفُ هذا اليعسوبُ الذهبُ، القصةَ :
هل سأعودُ، كما سيعودُ الغصن المقطوعُ، إلى الشـــــجرةْ؟

لندن 23.09.2009

روايةٌ روسـيّةٌ

آنَ ما يتناوحُ هذا الهواء

آنَ ما يتناوحُ مرأى البحيرةِ في صمتِها

آنَ ما يَغْمُقُ الورقُ المتساقطُ في لونِهِ

آنَ ما أشتهي أن أُقَبِّلَ ما تحتَ سروالِها

آنَ أقذفُ قنبلةً نحو مَن يتهدّدُ معنى العراق

آنَ أُصغي إلى الصمتِ في المطرِ الناعمِ...

آنَ أشعرُ، في البردِ، أني الحريقُ بأكواخنا

آنَ يأتي الزمرّدُ من آسيا

آنَ تأتينَ أنتِ، متوَّجةً في المحطةِ، زرقاءَ أو وردةً

آنَ أسألُ عن مبدأ

آنَ أن نتكوّرَ في فِعْلنا الحُبَّ، مثلَ الفراشاتِ مأخوذةً

آنَ أرفضُ ما ليسَ أرفضُهُ

آنَ لا أعرفُ...

آنَ ألبسُ، ثانيةً، جزمةً للفدائيّ

(ليستْ مبالغةً. نحن كنا ببيروت في 1982)

آنَ أسألُ عني

آنَ لا أسألُ.

آنَ أفرحُ لو كنتُ أعمى...

آنَ أنتظرُ الطلقةَ الذهبيّةَ

آنَ الشميمُ الذي جاءَ من نجدٍ النجدِ أستافُهُ

آنَ أُصغي إلى المنتهى.

سوف أكتبُ.

لندن 22.11.2009

كلامٌ في أوّل الليل

سوف أبحثُ عنكَ :

السماءُ التي أطبقَتْ سوف تُطْبِقُ أكثرَ

لكنني سوف أبحثُ عنكَ...

تقولُ : الجبالُ رماديّةٌ.

ومتى لم تكنْ هكذا؟

وتقولُ : المقاهي التي قد أَلِــفْــنا زماناً،

تُغَلِّقُ أبوابَها

واحداً بعد آخرَ...

حتى ملابسُنا قد تبدّلتِ :

السترةُ انقلَبَتْ

والقميصُ الذي كان أبيضَ قد صارَ أسودَ.

....

....

....

هل أنتَ تسمعُني؟

هل تَرَهَّـــفَ سمعُكَ للنملِ قبلَ المطرْ؟

هل رأيتَ الجذورَ الخفيّةَ، تلك التي تمنحُ الشجرَ المـــيْـــتَ

أوراقَ ميلادِهِ؟

هل رأيتَ، وقد جلجلَ الرعدُ، برقاً؟

إذاً، سوف أبحثُ عنكَ

وألقاكَ.

إن الحياةَ يحقُّ لها أن تُعاشَ.

ونحنُ، يحقُّ لنا، أن نعيش...

لندن 14.12.2009

مـدرســـة المحموديّة

المرايا هي الجدران، وهي السقف. مرايـــا ذواتُ أشـــكالٍ:
مثلّث. معين. مربّع. مستطيل. دائرة — المرايا ذواتُ ألـــوانٍ:
أزرق. أخضر. سماويّ — المرايا نورٌ ملصَقٌ على الجـــدران —
المرايا نورٌ يتدلّى من السقف _ الخشب شفيفٌ.
من النافذة تأتي سعفةٌ تترجّحُ مع نسيمٍ خفيفٍ ساخنٍ.
الجســـــرُ (ما زال خشباً) يبدو من النافذة الأخيرة.والنهر
الذي يقالُ إن في منتهاه المترل الذي لن نراه : مـــترل بنـــات
الشلبي. مطر. مطر. يا حلبي. عَبِّرْ بناتِ الشلبي .مطر. مطر.
يا شاشا. عَبِّرْ بناتِ الباشا. يا مطراً من ذهبِ !
السيد علي الطبيب الهنديّ يسكنُ هو أيضاً في أقاصي النـــهر
التي لن نبْلغَها. حيّاتُ الماءِ تقطعُ النهرَ من ضفةٍ إلى أخـــرى.
نحاولُ أن نُمسِكَ بخيطِ الفضّةِ المتعـــرِّجِ. الحيّـــاتُ تترلـــقُ

مراوِغةً. ســــمَكُ الجِــرِّيّ يلتقطُ الطُّعْمَ الفقيرَ، العجينةَ أو التمرةَ. سنجففُ جِلْـــدَ الجِرِّيّ لنصنع طبولَنا في الهــاجرةِ القائظة. خليل الطويل يُعَـلِّمُنا العربيةَ والجغرافيا. نحــن الآنَ نعرف القارات. في أي قارةٍ نحنُ؟ إفريقيا معَنا. ستدقّ الطبولُ في الليلِ المحتدمِ. ونحن نختبيْ تحت ثياب أمّهاتِنا الطويلة لنتسلّلَ إلى حلقةِ الزارِ المختنقة بالبخور. أبو الخصيب كلُّهــا تــدور حول المدرسة. أبو الخصيب هي المدرســــة. المحموديّــةُ هُدِمَت. المحموديةُ هُدِمَتْ على رؤوســـنا، نحن، أبنائهـــا اليتامى.

لندن 17.12.2009

قلانسُ ياســـَمين

في ليالي الشتاءِ الطويلاتِ

إذْ يسقطُ الثلْجُ...

أُقْصِي قليلاً ستارةَ غرفةِ نومي،

وأنظرُ عبْرَ الحديقةِ

حيثُ البياضُ الـــمُـــقيمُ،

أُتابعُ مَرأى البحيرةِ في البُعْدِ

بينَ الجذوعِ التي تلبسُ الآنَ لونينِ :

بُـــنّـــاً

وأبيضَ.

أعرِفُ أني وحيدٌ

وأني هنا بين مَن لن يكونوا ليَ الأهلَ،

لكنني أستريحُ إلى ذلك النورِ إذ يتخافقُ في نقطةٍ لا أُحَدِّدُها

من فضاءِ البحيرةِ

ربّتَما كانت النارُ نارَ القواربِ

أو خيمةِ العاكفينَ على وهْـــمِ أسماكِهم.

....

....

....

يسقطُ الثلجُ.

أُغمِضُ عينيَّ.

تأتي الغزالةُ من آخرِ الدَّغْلِ،

يتبعُها راقصونَ بأرديةٍ من حرائرَ صينيّةٍ

وطبولٍ

وسَبْعِ قلانسَ من ياســـــمين.

لندن 18.12.2009

ســـأكونُ صـــديقـــي

سأجلسُ على المصطـــــــــبةِ الخشبِ.

إلــــــى يمين الباب. باب بيتي الذي هو ليس بيتي.

سأجلسُ. أحدِّقُ في العشب الذي لا يذوي.

أحدِّقُ في الأغنيةِ التي تغيب. لم تكن الســـماءُ عاليةً هنا، أبداً.

الطيورُ تَبْلغُها والطائراتُ وأدخنة المدافيء الغازية.أسمعُ؟

ربما مَسْــــــــــرى الدمِ في ذراعي الشمالِ.

لم يَعُد البريدُ يحدِّثُـــــــــني.ماذا أنتظرُ هذا الصباح؟

السنجابُ الوحيدُ

الذي يقتربُ مني اختفى اليومَ.

وطائرا الزريابِ رحلا.

لستُ أدري متى يعودانِ.

سيكون المساءُ بارداً.أقولُ لكِ شيئاً :

أنا منذُ اليومِ سأكونُ الـــمُـــــــدَوِّنَ.
الساعاتُ ليستْ فارغةً.ملايينُ
النوابضِ والنبضاتِ تنتظرُ مني أن أكونَ وفِيّــــــاً. إذاً،
سأجلسُ على المصطبةِ الخشــــــــبِ.
سأظلُّ جالساً حتى تحت نثيرِ الثلجِ.لا أنتظرُ شمساً ولا
مصافَحةً. سأكونُ صديقي...

لندن 18.12.2009

الإختنـــاق

ربما في صباحٍ سيأتي قريباً
(لِـــنَـــــقُــــلْ بعد خمسين عاماً وأكثرَ)
أمضي (كما يرجعُ الجدولُ الجبليُّ إلى نبعِهِ)
نحوَ بيتي.
ليس لي (في الحقيقةِ إنْ شِئتَ) بيتٌ
ولا بَعضُ بيتٍ
(أُحِسُّ هنا بالسعادةِ).
لكنني أتوَهَّمُ أنّ هناك، بأقصى الأقاصي، بلاداً
تُـــسَـــــمّـــــى العراقَ
وأنّ بها بشـــــراً يسكنونَ الشـــــواطيءَ والقَــــفْـــــرَ
أنّ الهواءَ بها ليس يقتلُ مَن يتنفّســــــهُ...
أتوهَّـــــمُ هذا

وأسكنُ في حافةِ الوهمِ...
حتى إذا حانَ حيني اســـــترحْتُ ؛
فلا جدولٌ جبليٌّ يُراجِعُ منبعَهُ
لا بلادٌ تسَـــــــمّى العراقَ،
ولا ملعبٌ للثعالبِ والأيَلِ المتواثبِ
لا نســـــمةٌ في الهواء...

لندن 21.12.2009

حـــيــاةٌ عــمــليّــةٌ

ذهبتْ في قطار الشمالِ إلى أهلِها، ليلةَ العيدِ...

قلتُ لها : لو تمَهّلتِ !

لو همْتِ، أكثرَ، في الوادِ...

لو نِمْتِ، أكثرَ...

لكنها حملتْ في الصباحِ الــمُــبَــكِّــــرِ، ضحكتَها

والحقيبةَ (كانتْ حقيبةَ خيطٍ)

وراحتْ مع الريحِ والثلجِ.

والآنَ

عند المحطة

لم أدْرِ كيفَ أُوَدِّعُها :

هل أُقَــبِّــــلُــها؟

هل أقولُ كلاماً كما اعتادَ أهلُ البلاد؟

وهل أحملُ الوِزْرَ؟

أعني : أأحملُ نحو القطارِ حقيبتَها الخيطَ؟

لم أدرِ.

أمّا هيَ...

(الأمرُ أيســـــرُ ممّا ظننتُ.)

فقد خطفتْ، مثلَ ما يَخطِفُ البرقُ، تلكَ الحقيبةَ.

قالت : وداعاً

وغابتْ...

لندن 22.12.2009

أبسطُ من سؤالٍ

لن يكون المساءُ جميلاً
ولا طيرُهُ...
أنا أعرفُ هذا
ويعرفُ ما أعرفُ الطيرُ.
حتى النوارسُ غامتْ مجسّاتُها فتوهّمتِ النهرَ بحراً
بل هي، الآنَ، تنقرُ عشبَ الحديقةِ !
ما ذا سأفعلُ؟
إن أخطأَ الطيرُ كيفَ أكونُ المُصيبَ؟

لندن 23.12.2009

أجراسُ الـميلاد

لم أسمع الأجراسَ...

قد أرهفْتُ سـمعي طولَ ليلٍ لا يكادُ يزولُ

لكنْ، ولأَقُلْ ما قُـلْـتُـهُ، لم أسمع الأجراسَ...

كان الليلُ يثوي هـامداً

لا ريحَ في الدَّغْلِ القريبِ

ولا نُباحَ

و لم تُرَدَّدْ صيحةٌ من أيِّ طيرٍ ؛

والبحيرةُ أعتمَتْ.

لم أسمع الأجراسَ...

....

....

....

في الفجرِ كان ندىً على عشبِ الحديقةِ

ثعلبُ الدغْلِ القريبِ أتى،

وسنجابٌ

ونورسَتانِ جائعتانِ،

ثّمتَ عقْعَقٌ يدنو...

وطائرُ تَدْرُجٍ،

والشمسُ تومِيءُ. هل أراها؟

....

....

....

أسمعُ الأجراس...

لندن 25.12.2009

هـــذْهَـــدةٌ

من وراءِ الزجاجِ الـــمُـــضاعَفِ، أسمعُ صوتَ

الـــمـــطــــــرْ.

هل مضى الليلُ؟

لن يمضيَ الليلُ :

هذا المطرْ

كأسُــــــهُ المتطافِحَــــــةُ...

الليلُ يَـــثمَـــلُ

يَـــثقُـــلُ

يترلُ من رَفِّــــهِ ليُوَحِّـــــدَ ما بينَ أســـــرارِهِ

والبشــــــرْ.

....

....

....

كان صوتُ الـــمطرْ

يتسرَّبُ.

صوتُ المطرْ

يتشـــــرَّبُ رقّةَ هُدْبِـــي

لأدخلَ في قطرةٍ من مطرْ.

لندن 26.12.2009

إضرابُ بَحّـــارةٍ

ربما كان أوّلَ إضرابِ بَحّارةٍ في المياهِ التي تتسوّرُ أرضَ العربْ
كان إضرابَ بَحّارةٍ في مياه عراقيةٍ
كان إضرابَ بحّارةٍ بين مِلْحِ الخليجِ وسَلْســـالِ شطٍّ
العربْ...
أتذكّرُ عَمّي : حميدَ الشهاب،
حميدَ الذي لم أزلْ أتمَـــثَّــلُـــــهُ كالفتى...
قالَ: كنّا وحيدينَ بين الرصاصـــــةِ والبحرِ.
لا أتذكّرُ ما قالَ عن ســــــجنِـــــهِ...
كان أصغرَ أعمامي.
الآنَ أسألُ : مَن يتذكّرُ إضرابَ بَحّارةٍ غير عمّي حميـــــد
الشهاب،
غيرَ عمّي حميد...

لندن 26.12.2009

تشخيصٌ

باطنُ كفّي اليمنى، يحضِنُ ظاهرَ كفّي اليسرى
وأنا المتكمِّشُ بَرْداً أُسنِدُ رأســــي، تعبانَ، إلى صدري...
ساقايَ تخَـــشَّـــبَـــتا
والقَدَمان تَلَـــبَّـــثَـــتـــا
لا أملِكُ أن أُتْلِعَ عُنْقـــاً
أو أُومِي...
مَن أسألُ أن يُدرِكَني وأنا أوشِكُ أن أتَطَوَّحَ في البئرِ؟
الليلُ الــمُطْبِقُ يُحْكِمُ أنشـــوطتَــــهُ أكثرَ،
والأشجارُ الســـودُ (أرَدِّدُ حتى الأشجارُ السودُ) تغيبُ
عن الصورة
والبحرُ المتموِّجُ في إحدى لوحاتِ الحائطِ يدخلُ في طَورِ
سُباتٍ...

لا صوتَ...

هنا.

لا صوتَ...

هل القبرُ هو الفردَوس؟

لندن 27.12.2009

البُحَيرةُ المتجمِّدةُ

البحيرةُ تَدَّثَّرُ اليومَ بالثلجِ...
معطَفُ نورٍ يُدَثِّرُها بهشيمِ الزجاجِ
وألواحِه...
ألمُسُ الماءَ
أرتَدُّ. تَدْهمُني رعشةٌ في الأصابعِ
تَدهَمُني رعشةٌ في الجبينِ،
ولكنني أُسْرِعُ الخَطْوَ
حتى كأني أريدُ امتلاكَ البحيرةِ، آنَ البحيرةُ تنأى
وتلتفُّ بالمعطفِ الثلجِ...
آنَ البحيرةُ تدخلُ في ما يُراوِغُ حتى العيون.

لندن 28.12.2009

جِــــنازةٌ

ساحةُ الـــحَـــيّ كما هيَ :

فارغةٌ إلاّ مِنْ بضعِ سيّاراتٍ مبتلّةٍ من أمطارِ اليومَينِ السالفَينِ.

والسقوفُ البُنّـــيّـــــةُ

عادةً تبدو رماديّةً أقربَ إلى الســـــواد.

السروةُ الفتيّةُ أسفلَ نافذتي لا تكاد تهتزّ مع أن ريحاً خفيفةً

تتدحرجُ في الحديقة.

امرأةٌ تطوي مظلّـــتَـــها لتدخل من الباب الرئيس للمبنى

حيث يقيمُ المنتظرونَ الرحيلَ إلى الجنّة.

لا أدري إلى أين ذهبت الطيورُ...

....

....

....

قبل دقائقَ فقط

كانت الساحةُ تكتظُّ بسيّاراتٍ ســـــودٍ

ومعاطفَ ســـودٍ

وأكاليل زهورٍ...

والتابوتُ يكاد يختفي في سيارة المرسيدس الطويلة

تحت أكاليلَ، بعضُها اصطناعيٌّ.

لم أعُدْ أسألُ

كلُّهم راحلٌ إلى الجنة.

أمّا أنا، فـمُـوَكَّلٌ بهذا الفضـــاء.

30.12.2009

" **ملحوظةٌ** : علِمْتُ الآنَ من طفلةٍ مرِحةٍ ترتدي السوادَ، أن جارتي المباشرةَ، باتّ، هي التي ماتت°"

هــكــذا...

نورستانِ حَطّــــتـــــا ضُحىً على السقفِ

(وأعني سقفَ بيتي)

غير أني رجُلٌ ولستُ بحراً...

فلماذا حطّت النورستانِ؟

الآنَ

لا يحقُّ لي أن أتساءلَ

أو أُجيبَ...

قد حطّتْ على سقفي، ضحىً، نورستانِ

هكذا.

لندن 03.01.2010

خــرْبَشــةٌ

ليس مهمّاً أن تعرفَ في أيّ مكانٍ أنتَ.

مهمٌّ أن تعرفَ مَن لا تعرفُ في أيّ مكانٍ...

مثلاً :

ماذا يأكلُ آخرُ سِـــكّــيرٍ في آخرِ حاناتِ بَلِغراد...

وماذا يفعلُ عصفورٌ إنْ هبطَ الثلجُ.

وماذا ستقولُ امرأةٌ لعشيقٍ لم تُعْجِـــبْــهُ

صلافتُها الأمازونيّة.

ماذا سيكونُ نعاسُ المحكومِ عليه بأن يُشنَقَ فجراً.

ماذا تأكلُ إنْ كنتَ نباتيّاً في أرض القرغيزِ.

ومَن تسألُ إنْ أخطأتَ سبيلَ العودةِ في نيويورك...

إلخ...

إلخ....

إلخ...؟
لكنّك لا تؤمِنُ بالآخرةِ !
الآنَ، ستعرفُ في أيّ مكانٍ أنت...

لندن 03.01.2010

ليسَ رِهاناً

سأكونُ صريحاً معكِ الليلةَ :

أنتِ تقولينَ" أحبُّكَ" ...

(كنّا في بارِ" الأسدِ الأحمرِ" ذاتَ مساءٍ أتذكّرُهُ)،

لكنكِ حين تقولينَ : " أحبُّكَ"، أسمعُ :" لستُ أحبُّكَ"...

(كنّا في بارِ" الأسدِ الأحمرِ).

أمّا في هذي الليلةِ، آنَ الثلجُ يهدِّدُنا بحصارٍ أبيضَ، أيّاماً

آنَ أراكِ مُنَعَّـــــمـــــــةً بقميصِ حريرٍ صينيٍّ أســـــــودَ

فوقَ ســـــــراويلِ حريرٍ صينيٍّ سُـــــودٍ،

آنَ تمهّلتِ طويلاً لتقولي : سوف أظلُّ هنا، في لندنَ، أسبوعاً

معكَ...

في هذي الليلةِ

لن أتذكّرَ

لن أُجهِدَ أعصابي لأُفَســـسِّـــرَ...

سأصدِّقُ ما تنطقه شفتاكِ، ونحن نرُدُّ عن الجسدَينِ الثلجَ

المِدرارَ :

أحبُّكَ !

لستُ أُحِبُّكَ...

لندن 04.01.2010

حالةٌ يوميّــةٌ

ليس من عابرينَ هنا

ليس من زائرينَ

الطبيعةُ أغلقتِ الساحةَ الداخليّةَ حيثُ الخنازيرُ

حيثُ السناجبُ

والناسُ

والنورسُ المتوهِّمُ تلكَ البحيرةَ بحراً...

أقولُ :

ذراعي تُجاذِبُني... كيفَ لي أن أُقاوِمَ؟

رُبّــتَـــما أُسْــلِمُ الرّسْغَ :

للغِلّ؟

للمِبْضَعِ الــمرتجى؟

للفتاةِ التي تركتْ قطعةً من ملابسها الداخليةِ تحتَ الفراشِ؟

....

....

....

في هذه اللحظةِ، الثلجُ يهبطُ أثقلَ

أثقلَ

أثقلْ.

لندن 11.01.2010

تحيّةُ العَلَمِ

في ساحةِ مدرسةِ المحموديّةِ

في الصبحِ

نحيّي العلَمَ الوطنيَّ (أعودُ إلى سبعينَ خلَتْ).

كنّا ننشِــــدُ :

يا أوروبّا لا تُغالي

لا تقولي : الفتحُ طابْ

سوف تأتيكِ الليالي

نورُها لَمْعُ الحِرابْ ...

يا أوروبّا !



الآنَ

وفي لندنَ (بعدَ الأعوامِ السبعينَ)

وبعدَ غرامِ الموسيقى وغرائمِها،
أعرفُ ما كنّا نُنشِدُ،
كنّا نُنشِـــــدُ
ريتشارد فاجْـــنر
في مفتتَحِ الأسطوريّ سيجفرِيد ...

❖

يا أوروبّا !

لندن 19.01.2010

هواجسُ منزلِ التلّ

مطرٌ لا يُرى، يتغلغلُ في ملْمَسِ العُشبِ
يدخلُ بين خيوطِ القميصِ
وفي رئةِ الطيرِ.
كان النهارُ بطيئاً
وسوفَ تكونُ الليالي الطويلاتُ أبطـــــأَ.
كم قلتُ : إني ســأرحلُ عن مترلِ التلِّ !
كم قلتُ : إني ســـــأنصِبُ لي خيمـــــةً في رمالِ الجزيرةِ
أو أســفلَ الأطلسِ ...
البردُ يُرْعِشُ منــــي الأناملَ.
أنظرُ :
لا شـــــيءَ في الأفْــقِ
مُـــنْــبَــسَــطٌ من ســـماءٍ رمادٍ

ومنحدَرٌ من غصونٍ يَـــبـــاسٍ يُقَضْـــقِـــضُـــهـــــا

النوءُ.

....

....

....

سوف يظلُّ المطرْ

لا يُرى.

ســـــوفَ أبقى هنــــا، أخضِـــــدُ الليلَ في منزلِ التلِّ،

أبقى هنا

صيحةً ليس يسمعُها أحدٌ

صيحةً في عُـــــواءٍ بعيد...

لندن 27.01.2010

ثلاثة ثعالبَ تلعبُ فـــي ضوءِ القمرِ

في الساحةِ الخلفيّةِ الخضراءِ للمبنى
(وأعني الــمَــلــجأَ البلديَّ حيثُ أعيشُ)
كانت فضّـــةٌ تَـــنْــهَـــلُّ من بَدْرٍ حقيقـــيٍّ
(كما في الرسمِ أو في السينما)
حتى كأنَّ الليلَ قُطــبِـــيُّ النهارِ
وأننا في سينما صيفيّـــةٍ...
والعشبُ، حتى العشبُ، يلمعُ في بياضٍ أخضـــرَ
الأشجارُ نائمةٌ على أغصانِها الــعُريانةِ،
الليلُ الذي أحْــياهُ منتصفٌ،
وأســـمعُ صيحةً مجهولةً من طائرٍ ...
....
....

....

في بغتة

في لحظةٍ بيضاءَ

في نُعْــمَــى مبارَكةٍ

رأيتُ ثعالباً يلعَــبْـــنَ

تحت شُــجَــيــرةٍ تتوسَّطُ البستانَ

قد كنتُ اتَّــرَكْتُ لهنّ زاداً في المســـاءِ.

طَــعــمْــنَــهُ،

وتركْـــنَ صحني فارغاً، متألِّـــقـــاً،

في نورِ بستانيّ الســـماويّ.

الثعالبُ كُنَّ يلعَــبْـــنَ

السماءُ خفيضةٌ

والأرضُ بيضـــاءُ...

لندن 30.01.2010

لا بأسَ عليكَ!

عشرةُ أعوامٍ مرَّتْ، لتراك، كما أنتَ،
تحدِّقُ عبرَ النافذةِ الغربيـــــةِ،
لا بأسَ عليكَ...
النافذةُ الغربيةُ مِرآتُكَ
والــمَـــرأى
الساحةُ والأشجارُ، وسقفُ الــمَبنى الــممتَدُّ
كحوتٍ أســـــودَ تحتَ سماءِ رصاصٍ.
لا بأسَ عليكَ...
الأعوامُ العشـــــرةُ لم تكتمْ أنفاسَكَ
لم تنبِذْكَ وحيداً في ليلِ الــمطـــــرِ،
الأعوامُ العشـــــرةُ أعطَتْكَ الدُّرْبةَ :
أنْ تتحمّـــلَ، مثلَ جوادٍ بَرِّيٍّ، كلَّ فصولِ الكونِ،

وأن تتنفّسَ كالأسماك

وأن تأكلَ قلبَكَ آنَ تجوعُ.

وأن تصْبرَ إنْ هجرَتْكَ امرأةٌ

وانفَضَّ الســـــامرُ عنكَ.

و لا بأسَ عليكَ...

الأعوامُ العشـــــرةُ أعطَـــتْـــكَ النافذةَ الغربيّـــــةَ

فانظُرْ عبْـــرَ النافذةِ الغربيةِ

وانظرْ عَبْرَ النافذةِ الغربيّـــةِ

وانظُـــــرْ:

ربّـــتَـــما ستكونُ الـــمُبْـــصِـــــرَ في أحدِ الأيّـــــام.

لندن 12.02.2010

حِـنّــاءُ الـفــاوِ

حنّاءُ نساءِ البصرةِ تأتي مع مِلْحِ البحرِ
وأسماكِ البحرِ
ورُوبيانِ البحرِ
من الفاوِ...
الأوراقُ الـــخُضْـــرُ، مخشخشةً تأتي، في أكياسٍ من خيشٍ.
ستكون الأوراقُ طحيناً أخضرَ مُـــغْـــبَـــــرّاً
ستكونُ عجيناً أخضرَ
أخضرَ، مُـــحْـــمَـــــرّاً بعد دقائقَ.
حنّاءُ الفاوِ
خِضابُ لِحىً وجدائلَ
راحاتُ عرائسَ

أخفافُ حُفاةٍ شـــــقّقَ أقدامَهمو السّــعيُ على طرُقاتِ

اللهِ...

وحِـــــنّاءُ الفاوِ

كأسماكِ الفاوِ

ومِلْحِ البحرِ

وروبيانِ البحرِ

تَناءتْ، حتى غابتْ في ما كانَ يُـسَــــمَّـــــى الفاو...

....

....

....

خالاتي المسكيناتُ سَـــــكَـــنَّ الفاو.

لندن 12.02.2010

لن تأتي الريحُ الغربيّةُ

أضواءٌ متناثرةٌ

لِـمَـراكبَ ضيِّـقـةٍ، تبدو في الـبُـعْـدِ

وراءَ الأشجارِ العاريةِ.

الآنَ

وفي الماءِ المتجمِّـدِ للقنَواتِ

سـيُشْـعِلُ جَـوّابونَ مَـواقِـدَهم

ليكونَ بَخورُ الصّـفصافِ هواءَ نهارٍ أبيضَ.

لكنْ، قد تأتي الريحُ الغربيّـةُ بالغَـيمِ الـمُـثْـقَلِ

والوَزِّ الـمِـصريّ

وبالعينَينِ المـغْـمَـضَـتَينِ على صخرةِ بَحْـرٍ في عَـدَنٍ،

قد تأتي الريحُ الغربيّـةُ...

أمّـا الآنَ

فليس لنا غيرُ الــجُدرانِ الأربعةِ ؛

اليومَ، الأحدُ

اليومَ، أظَلُّ بلا أحدٍ

أنقِرُ في الــجُدران.

لندن 14.02.2010

تنويعٌ على طلال حيدر

" خَلِّيك مثل القصب
كلما عتق يحِنّ..."

لَــفُّــوا الكفافي... مَشَــــوا
والبحرُ منهم صارْ
محمود درويش باقٍ
والـــمدى والدار...

لَفّوا الكَفافي... مشَـــــوا
والبحر، والمرفأْ
إغْريقُ فُلْكٍ لنا
مَنْ قالَ : لن نغرقْ ؟

لَفّوا الكفافي... مشَــوا

كانوا فدائيّينْ.

والصبحَ، إذْ أصبحوا

عادوا فدائيّين.

لفّوا الكفافي... مشَــوا

فلْــتَــبْــدأ الرِّحْــلةْ

لفّوا الكفافي... مشَـــــوا

هل تنتهي الرِّحْــلةْ؟

لندن 14.02.2010

طُــقــوسٌ

الثلجُ الطائرُ منذُ الفجرِ نثـــيراً
يتحوّلُ، منذُ دقائقَ، قَــطْــــراً تحملُـــــهُ ريحٌ باردةٌ.
والعشبُ يعودُ إلى خُــضــرتهِ الشاحبةِ
ثــمّــتَ أوراقٌ يابســـةٌ تبدو كعصافيرَ على العشبِ.
النافذةُ، الآنَ، هي الــمــرآةُ.
سأجلِسُ لِصْــــقَ النافذةِ :
البحرُ قريبٌ
ونوارسُ تَــــمْــــرُقُ أعلى بقليلٍ
من سقفِ الــمَــبــنى القرميدِ.
....
....
غداً

(إنْ صَــدَقَ الطيرُ)
ســـآخذُ مَــجْــمَــرةً
وبَخوراً،
آخُــــذُ ســبعةَ عيدانٍ من علبةِ ثقّـــابٍ
كي أُوقِدَ ناري
في أعلى التـــلّ...

لندن 22.02.2010

الشـــيوعيّ الأخيـــرُ يُثرثِـــر

قالَ الشـــيوعيُّ الأخيرُ

وكان في مقهىً، يُحَدِّثُ مَنْ يُحَدِّثُ مِن رفاقِ الأمسِ:

يا محمودُ

هل تدري بأني لا أُحِبُّ البيرةَ الســـــوداءَ؟

عاماً بعدَ عامٍ بَعدَ عامٍ، كان أهلُ بْـــــراغ يمتدحونَها

يتَـــمَـــطَّـــقونَ بذِكْـــرِها

وبِطَـــعْـــــمِـــــها

حتى كأنّ البيرةَ السوداءَ ماءُ السلسبيلِ بجنّةِ المأوى

كأنّ البيرةَ السوداءَ كَـــوثَـــرُهُـــــم...

ولكني أداعِـــبُـــهُـــم، وأمضي في الدُّعابةِ :

يا رفاقي

لا أُحِبُّ بْـــــراغ...

لا أهلاً

ولا بَــلَــداً !

وأنتَ، اليومَ، يا محمودُ، تَشْـــــهَدُ

كيفَ تلعبُ بالعراقِ جماعةُ بْــــــراغ...

❖

الشيوعيُّ الأخيرُ

اختارَ، بعدَ تردُّدٍ، ما اختارَ :

كأساً من نبيذٍ أحمرَ.

المقهى صغيرٌ، دافيءٌ

والنارُ نارُ جذوعِ صفصافٍ تَــضَــــوَّعُ كالبَخورِ

البارُ من خشبٍ عتيقٍ...

....

....

ربّــما دخلتْ صديقــتُــــهُ مصادَفــــةً.

لندن 23.02.2010

تهليلةٌ لِطائرِ الفجرِ

طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أجملَكْ !

نَخْلُنا، والمنازلُ، والوردُ ... لَكْ

والسماواتُ لكْ.

طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أجملَكْ !



هَلّلَ النورُ

أَطْلِقْ جناحَيكَ نحوَ الفَلَكْ.

أطْلِق الصوتَ، شَدْوَ الضياءِ الذي قَبَّلَكْ

طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أجملَكْ !



لن ترى قفصاً بَــعْـــدُ

لن يتمكّنَ منكَ الشَّـــرَكْ.

سوفَ يَــقْـــوى جناحاكَ، أمْــضى

من النَّـــسْـــرِ أنَّـــى سَــلَــكْ.

طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أنبلَكْ !

لندن 26.02.2010

الشيوعيّ الأخيرُ محرِّرٌ بغداد

عشرونَ ألفاً من بساتينِ السماوةِ

أقبَلوا متدافعينَ

ومن غِياضِ الكوتِ...

كانوا يحملونَ بنادقَ البَرْنو

ويستبقونَ سيّاراتِ" لادا" من ذواتِ الـمَبْدَلِ اليدويّ

والدَّفْعِ الرُّباعيّ...

الغبارُ يشوِّشُ الآفاقَ

والراياتُ حُمْرٌ، لا تكادُ تُرى من النقْعِ الـمُثارِ.

الفجرُ لَوَّحَ

والهتافُ :

تعيشُ بغدادُ !

الشيوعيُّ الأخيرُ هنا...

الشيوعيّونَ جاؤوا

حَــرَّروا بغداد !

لندن 28.02.2010

أغنيةُ الغَنِيِّ بما اقتَنى

اليومَ يومُ النبيذِ

ابتعتُ خابيةً :

عشراً

فعشــــــرينَ...

حتى لم يَعُدْ، شَططاً، فِلْسٌ لديَّ

كأني الواحدُ الأحَدُ !

أقولُ : إنّ الذي يُرْجَى، وليسَ يُرى

مُخَـــبّـــأٌ.

إنَّ عُـــمْـــقَ الطائفِ الأبَـــــدُ ...

ما أهونَ العيشَ !

لكني أُداوِرُهُ،

وأدَّرِيهِ

وأدري بالذي أرِدُ...

....

....

....

اليومَ يومُ النبيذِ !

لندن 08.03.2010

زرادَشـــت

سيوقِدُ أكرادُ" عَـــقْـــرةَ" نيرانَهم في رؤوسِ الجبالِ،
كما كان يفعلُ دوماً زرادشـــــةُ
الكُتُبِ. النارُ في القممِ. النارُ في البيتِ،
وابنُ الـــمُـــقَـــفَّـــعِ في البيتِ كانَ يُزَمْزِمُ.
أكرادُ" عَقْرَةَ" كانوا زرادشـــــةً يرقصونَ، وقد أوقَدوا
نارَهم في رؤوسِ الجبـــــالِ.
يقولونَ : دِينٌ أتى جَبَّ ما قبلَـــــهُ. ربّما...
غيرَ أني أُطالِعُ ناراً على جبَلٍ.
وأُتابِعُ أَقدامَ مَن يرقصونَ.
الفساتينُ أَفْوافُ وَرْدٍ
وتلك السراويلُ خفّاقةٌ والغصون.

....

....

....

في ربيعِ البراري زرادشـــــةٌ يرقصون.

لندن 21.03.2010

قرارٌ ظالِـمٌ

قرّرتُ (كانت ساعتي، بالضبطِ، سابعةً مســـــاءً)

أن أقولَ

لِـــمَنْ أُسَـــمِّـــيها الضجيعةَ في ليالي الثلجِ : يا بِنْتُ،

الوداعَ !

كأنّ صوتَكِ وهو يَــبْــلُــغــني من المنأى الشماليِّ الفقيرِ

يقولُ:

إنّ الخيرَ ما نختارُ...

أنتِ اخترتِ أن تتلَــبَّــثي في المرفأ المنسيّ

أن تتمنّعي

أن تَجسـَــــي، حَدْساً، بأني سوف أشقى إنْ أطَلْتِ

الـــمَكْثَ

ثّمّتَ، حيثُ سِيْفُ البحرِ مهجورٌ، وحيثُ الكلبُ، حتى
الكلبُ،
يرفضُ أن يُقادَ هناكَ...
لا تمضي بعيداً.
إنني قرّرتُ (كانت ساعتي، بالضبطِ، سابعةً مساءً)
أن أقولَ لكِ : الوداع !

لندن 24.03.2010

خِـشْـفٌ خـلـفَ الـسياجِ

تناوَحَتْ في المساءِ الريحُ.

كان على ماءِ البحيرةِ غيـــــمٌ

غير أنّ على الأفقِ البعيدِ بدتْ شمسٌ، مفاجِـــئةٌ

حمـــــــراءُ...

لم أرَ شمساً في النهارِ !

هل الدنيا تَبدَّلتِ : الصباحُ أعمى

و جَفنُ الليلِ ينفتحُ؟

....

....

....

ودِدْتُ لو كنتِ لِصْقي الآنَ...

قبلَ قليلٍ كان خِشْفٌ وراءَ السور

أرقَـــبُـــهُ

يقتاتُ ما رَقَّ من نبْتٍ.

وأرقَـــبُـــهُ

يُدْني الغصونَ

ويُرْخِــــــيها، فَــتَــنْــسَــدِحُ ...

لندن 27.03.2010

فُـــتُـــوَّةٌ

في الـــ57
حـــفَـــرْنا، بأظافرِنا الســـــودِ، خنادقَ حولَ دمشقَ...
بساتينُ الغوطةِ كانت بكثافة أدغالِ الأمازون
ومن أعلى جبلِ الشيخِ يسيلُ الماءُ زلالاً بين أصابعَ
مُـــفْـــعَـــمَـــةٍ بترابِ الأرضِ.
وفي الـــ57
شـــــربْنا عرَقاً، رُبْعَ البطْحـــــة
ثمّ نَـــعِـــمْـــنا بشطيرةِ خبزٍ عربيٍّ، رُبْعَ الليرةِ...
في الـــ57
أحببْـــنا
و كـــتَـــبْـــنـــا في ضوءِ الشمعِ قصائدَنا الأولـــــى.
كان زماناً ذهَـــبـــــاً
كنّا في الـــ57...
وكنّا، نحفرُ، مثلَ دمشقَ، خنادقَنا في الروح.

لندن 28.03.2010

الفهرس

قصائد الخطوة السّابعة



الراياتُ الحُمْرُ، الراياتُ الخفّاقةُ، راياتُ الأيّامِ الذّهَبِ
التأسيسِ، وكارل ماركس، وإرنَسْتْ تلْمان، بْرَيْخْت،
الكاباريت. الراياتُ المرفوعةُ أعلى من أبراجِ الكاثدرائيات
وأعلى من تاريخِ التاريخ. الراياتُ الدقّاقةُ في كلِ ذراعٍ شُهُباً.
تلك الراياتُ سنشهدُها، صبحاً في الساحةِ، آنَ نُفيقُ!

❖

كان الوقتُ ضحىً. بُرْجُ الساعةِ لم يشهدْ بَعدُ مواعيدَ العشّاق.
أمْ أن الناسَ، جميعاً، في الساحةِ حيث مُظاهرةُ الأوّلِ من أيّارَ؟
وفي هذا العامِ التاسعِ بعدَ الألفَينِ، القلعةُ تهتزُ. العمّالُ بلا عملٍ.
سيكونُ الناسُ جميعاً في الساحةِ !
أمواجُ بَيارقنا
وهديرُ حناجرِنا
في الساحةِ ...

www.attakwin.com

لوحة الغلاف للفنان إبراهيم العواد